الرسالة

(رومية ١٣:١١-١٤؛
١٤: ١-٤)

يا إخوةُ إنَّ خلاصَنا الآنَ أقربُ ممَّا كان حين آمنَّا* قد تناهى الليلُ واقتربَ النهارُ فلنَدَعْ عنَّا أعمالَ الظُلمةِ ونلبسْ أسلِحَةَ النور* لنَسلُكَنَّ سلوكاً لائقاً كما في النهار لا بالقُصوفِ والسُكرِ ولا بالمضاجعِ والعَهَر ولا بالخِصامِ والحَسد* بل البسوا الربَّ يسوعَ المسيح ولا تهتمُّوا بأجسادِكم لقَضاءِ شَهواتِها* مَن كانَ ضعيفاً في الإيمانِ فاتَّخِذوهُ بغيرِ مباحثةٍ في الآراء* مِنَ الناسِ مَن يعتقِدُ أنَّ لهُ أن يأكُلَ كُلَّ شيءٍ. أمَّا الضَّعيفُ فيأكُلُ بُقولاً* فلا يَزدَرِ الذي يأكُلُ من لا يأكُلُ ولا يدِن الذي لا يأكُلُ مَن يأكُلُ فإنَّ اللهَ قدِ اتَّخذهُ* مَن أنتَ يا مَن تدينُ عبداً أجنبيًّا. إنَّهُ لِمولاهُ يثبُتُ أو يَسقُطُ. لكنَّهُ سيُثبَّتُ لأنَّ اللهَ قادِرٌ على أن يُثبِّتَهُ.

غدًا نصوم

غدًا نصوم! تدخل كنيستنا المقدّسة يوم الإثنين الذي يلي أحد الغفران (مرفع الجبن) في زمن الصوم الأربعينيّ المقدَّس لغاية سبت لعازر، قبل أن تدخل في مرحلةٍ ثانية تمتدّ من أحد الشعانين لغاية أحد الفصح المجيد. نتهيّأ، في هذا الزمن المبارك، لملاقاة ربّنا يسوع المسيح القائم من بين الأموات. غدًا، نبدأ رحلتنا المهيبة مع الربّ يسوع إلى الجلجلة، ونسير معه خطوة تلو الأُخرى باتّجاه آلامه الخلاصيَّة وموته الذي ارتضاه باختياره من أجل خلاصنا.

نرتّل في غروب أحد الغفران: «لنبتدئ أوان الصيام بحبور، باذلين ذواتنا للجهادات الروحانيَّة، ونقيِّ النَّفس، ونطهِّر الجسد صائمين عن الأهواء كصومنا عن الأغذية، متنعّمين بفضائل الروح الحسنة، ومتمّمينها بشوقٍ حتّى نستحقّ مشاهدة آلام المسيح الإله الكلّيَّة الوقار، ونعاين الفصح المقدّس مبتهجين ابتهاجًا روحيًا». إذًا، ليس الصوم مجرّد إمساك عن بعض الأطعمة، بل إمساك عن جميع الرذائل وتمسّك بجميع الفضائل كما يقول القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم. نضع، في هذه الفترة المباركة، كلّ طاقاتنا المادّيّة والروحيّة في خدمة حياة الفضيلة والبشارة. إنَّها الفترة التي نزيد فيها أعمال الرحمة للبرهان عن إيماننا بالمسيح حتّى حدود مشاركته آلامه. نجعل غذاءنا من كلمة الله قبل الخبز اليوميّ، لأنَّ عيوننا يجب أن تكون مثبَّتة نحو الله، فنطرح عنَّا كلَّ ما يمكن أن يحوِّلنا عنه: «لنطرح عنّا كلّ اهتمامٍ دنيويّ إذ إنّنا مزمعون أن نستقبلَ ملك الكلّ» في عيد الفصح.

العدد ٢٠١٩/١٠

الأحد ١٠ آذار

أحد مرفع الجبن (الغفران)

تذكار الشهيد كُدراتس ورفقته

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر الثامن

يبقى السؤال الذي يراودنا، مع بداية الصوم الكبير: كيف نصوم؟ يذهب البعض إلى الإمتناع عن بعض المأكولات كاللّحوم والبياض ومشتقّاتهما، والبعض الآخر عن بعض المنتوجات والعادات كالتدخين والمشروبات... ومنهم يتّخذ من الصوم فترة حمية غذائيّة. لكن، ماذا تعلّمنا كنيستنا؟ لا تعطينا الكنيسة تعليمات وإرشادات إنّما تعلّمنا من خبراتها، وخبرات

الآبـاء القدّيسين الّذين صاموا، حسب تعاليم الكنيسة، وجاهدوا ووصلوا إلى الملكوت. لذا، نحن نصوم كما تعلّمنا الكنيسة. هل الإمتناع عن الطعام كافٍ؟ يبدو الجواب بسيطًا في جوهره، لكنّه يتطلّب جهادًا خاصًا وحربًا روحيَّةً مستمرّة. تقول الكنيسة إمتنع عن الطعام وأحبب فقط كما أحبَّ المسيح خليقته باذلاً نفسه فديةً من أجل خلاصنا. أحبب لا قولاً صادرًا عن شفتين غاشّتين، بل فعلاً وعملاً من قلبٍ محبٍّ نقيٍّ يرذل البُغضَ والحقد.

يعلّم الآباء القدّيسون أنّ الصوم هو فترة «للمحبّة». المحبّة في الصوم تجعل القريب أثمن من الراحة والمال وألعاب التسلية. من هنا تكثُر في الصوم أعمال الإحسان والخدمة الإجتماعيَّة، لهذا يبتدئ الصوم بعد «أحد الغفران». لا يمكننا أن نصوم بمخاصمات ومشاجرات. في الصوم نضع القريب قبل الذات. يقول القدّيس باسيليوس الكبير: «لا يفيد الإمتناع عن أكل اللّحوم عندما نأكل لحوم الناس الآخرين وحقوقهم»، ويقول القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم: «ماذا ينفعنا الصيام إذا كنّا نصوم عن أكل اللّحم وننهش لحم إخوتنا».

المطلوب ممّن يريد أن يصوم أن يحبّ؛ أن يفضِّل الآخرين على ذاته ويحبَّهم بدلاً من ذاته. مَن يركض وراء تحقيق رغباته وشهواته لا يصبح عاجزًا عن محبّة الآخر فقط، إنّما غالبًا ما يستبيح الآخر، فيعامله كسلعةٍ أو كعدوّ ينافسه على مكانةٍ أو ربحٍ.

لقد أعطانا المسيح، من خلال صومه الأربعينيّ مثالاً لنضع حدًّا لإرادتنا الشخصيَّة ونقبل الإرادة الإلهيَّة، وهذا ما تعلّمنا إيّاه الكنيسة في الصلاة الربّانيّة: أن نطلب مشيئة الله وإرادته «لتكن مشيئتك». تعطينا الكنيسة في الصوم فرصةً لنقول «لا» لأنانيّتنا، ولنغلب الميول والشهوات الأنانيَّة فنستطيع عندئذٍ أن ننظر إلى قريبنا بدلاً من ذواتنا.

غالبًا ما ننسى أنّنا نعامل الذين يخدموننا كعبيدٍ لنا نطلب منهم أن يخدمونا بلا انقطاعٍ، بينما نحن لا نخصّص وقتًا صغيرًا لشكرهم والإمتنان لخدمتهم التي يقومون بها طاعةً لكلام الله. يقول الرسول بولس: «قد تناهى اللّيل واقترب النهار، فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور» (رو١٣: ١٢). لقد دنا يوم القيامة المجيد، يوم لقائنا بالربّ، لذلك يجدر بنا أن نلبس سلاح النور الذي هو الصوم، مبتعدين عن أعمال الظلمة، والظلم، كي نكون مستحقّين هذا اللّقاء. الصوم سلاح نور، لأنّه كما يفرز الأطعمة بين مفيدة وسيئة كذلك يفرز الأعمال.

غدًا نصوم، سائرين مع الربّ نحو الجلجلة، لكنّنا لا نستطيع السير معه إن لم نتّحد به. لا يمكننا السير معه مثل يهوذا مُسلِمه، أو مثل بعض الناس الذين كانوا يهزأون به وهو حاملٌ صليبه. غدًا نصوم، فلنبدأ جميعًا هذه الرحلة المقدَّسة بطلب الغفران الكلّيّ من إخوتنا وهذا لا يكون إلاّ إذا طلبنا الغفران الكلي من ربنا يسوع المسيح وأيضاً من إخوتنا لا شكلياً بل من القلب.

القدّيس غريغوريوس الأوّل بابا رومية

تُعيّد كنيستنا المقدّسة في ١٢ آذار للقدّيس غريغوريوس الأوّل، بابا رومية، المعروف عندنا بلقب «ذيالوغوس» أي «المُحاوِر»، وهو

الإنجيل

(متى ٦: ١٤–٢١)

قال الربُّ إن غفَرتُم للناس زلّاتِهم يغفِرْ لكم أبوكم السماوي أيضاً* وإن لم تغفِروا للناسِ زلاَّتِهم فأبوكم أيضاً لا يغفِرُ لكم زلّاتِكم* ومتى صُمتم فلا تكونوا مُعبّسين كالمرائين. فإنَّهم يُنَكّرون وجوهَهم ليظهروا للناس صائمين. الحقَّ أقول لكم إنَّهم قد أخذوا أجْرَهم* أمّا أنتَ فإذا صُمتَ فادهَنْ رأسَكَ واغسِلْ وجْهَك لئلّا تظهرَ للناس صائماً بل لأبيك الذي في الخِفْية. وأبوك الذي يرى في الخِفْيةِ يُجازيكَ علانيةً* لا تكْنِزوا لكم كُنوزاً على الأرض حيث يُفسِدُ السوسُ والآكِلَةُ ويَنْقُبُ السارقون ويسرِقون* لكن اكنِزوا لكم كنوزاً في السماءِ حيث لا يُفسِدُ سوسٌ ولا آكِلةٌ ولا يَنْقُبُ السارقون ويسرقون* لأنَّهُ حيث تكون كُنوزُكم هناك تكونُ قلوبُكم.

تأمل

«لا يزدرِ الذي يأكُلُ مَن لا يأكل ولا يدِن الذي لا يأكُلُ مَن يأكُلُ فإنَّ اللهَ قدِ اتَّخذه».

إن استبدّ بك المجد الباطل والثناء البشريّ بشدّة، فعليك ألاّ تفعل شيئاً بغية إظهار نفسك للناس، بل أن تنشر كلّ نشاطك وأنت متوارٍ، بحيث لا يراه سوى الله وحده. لا تحبَّ الثناء ولا التكريم البشري. كذلك الأمر بالنسبة إلى الأثواب الرائعة، والامتيازات والأماكن الأولى، بل أحببْ أن يلومك الناس ويتّهموك ويحتقرونك.

وإن رأيت هوى الكبرياء الشنيعة الشيطانيّ يهاجمك، فعليكَ بعدم إهانة وعدم إدانة وعدم احتقار أحدٍ على الإطلاق، بل أن تعتبر نفسك حثالة الجميع، وأن تفكّر كثيراً في أن الربّ إن لم يبنِ البيت، عبثاً يتعب البنّاؤون (مز ١٢٦: ١)، وأن ترى نفسك مديناً دوماً، وأن تحسب نفسك كلا شيء أمام الله وجميع البشر. ولا تكن جسوراً ما لم تتلقَّ الدعوة، واضعاً نصب عينيك ذاك الذي على الرغم من حضوره إلى

بحسب التقليد اللّيتورجيّ مؤلِّف خدمة «القدّاس السابق تقديسه». يُلَقّب قدّيسنا في الغرب اللاتينيّ بـ«الكبير» ويُعَدّ أحد المعلّمين الأربعة الكبار إلى جانب القدّيسَين إيرونيموس وأمبروسيوس والمغبوط أغسطينوس.

وُلد غريغوريوس في روما حوالى العام ٥٤٠، لعائلة رفيعة النَّسَب والمقام ومن كبار ملّاكي إيطاليا آنذاك. سهّل ثراءُ العائلة ومكانتُها لغريغوريوس الحصول على أفضل العلوم المتوافرة، التي تمكّن منها تمكُّنًا لافتًا. توظَّف في دوائر العاصمة الإمبراطوريّة، وسرعان ما عُيِّن واليًا عليها. هنا أيضًا برع في مهام الإدارة المدنيّة وواجباتها. أمّا قلبه، فكان عند أسفار الكتاب المقدّس وسِيَر القدّيسين وتعاليمهم، حتّى إنّه كان يعتبر نفسه، رغم نجاحه في مهامه الإداريّة، طائرًا في غير سربه. بقي غريغوريوس على هذه الحال حتّى توفّي والده، حوالى العام ٥٧٧، فاستقال من وظيفته ووزّع معظم ثروته على الأديرة وملاجئ المرضى والمحتاجين، وحوّل قصره إلى دير على اسم الرسول أندراوس المدعوّ أولاً، ليعتزل هناك راهبًا بسيطًا.

لم يدم زمن الهدوء الديريّ طويلاً، إذ انتدبه البابا بيلاجيوس الثاني المنتخَب حديثًا، سنة ٥٧٩، سفيرًا خاصًّا إلى القسطنطينيّة لدى البطريرك والإمبراطور هناك، بشأن ما كانت تتعرّض له الأراضي الإيطاليّة على يد اللّومبارديّين (مملكة جنوب إيطاليا). طيلة السنوات الستّ التي أمضاها غريغوريوس في القسطنطينيّة، كان محلّ تقدير الكلّ واحترامهم، إن في دوائر البلاط الملكيّ أو في الكنيسة، لوفرة علمه وتميُّز أدائه من جهة، ولبساطته وتواضعه وسائر فضائله من جهة ثانية. إثر عودته إلى روما، اختاره رهبان ديره رئيسًا عليهم، وسلّمه البابا بيلاجيوس أمانة سرّه. أحبَّه رهبانُه كثيرًا إذ كان بمثابة أبٍ لهم، وفي مِحَنِهم وتجاربهم كان لهم الحضن الحنون والمتين في آن، أمّا في جهادهم النسكيّ فكان صارمًا في حفظ تراث الآباء بلا هوادة، ممارسةً وتعليمًا. إذًا، ما لبث الدير أن صار، للمنتمين إليه، مدرسة للتنقية والقداسة وللسكّان في محيطه وسائر زواره منارةَ هدايةٍ وشفاعة.

سنة ٥٩٠، توفّي البابا بيلاجيوس الثاني، فَعَلَتْ أصواتُ الإكليروس والشعب مطالبةً بغريغوريوس خلفًا له، حتّى ألزموه وانتخبوه في ٣ أيلول من العام نفسه، رغم احتجاجه ومحاولات تهرُّبه. إثر اعتلاء القدّيس غريغوريوس كرسيّ روما، تفشّى وباء الطاعون في المدينة وحولها، فقام يدعو الشعب إلى التوبة والصوم والصلاة وكان يقول: «خطايا الشعب حجبت عنه حماية العناية الإلهيّة». كذلك، دعا إلى زيّاحات في كلّ أحياء المدينة، بمشاركة الرهبان والراهبات، تُرفَع في مقدّمها أيقونة والدة الإله. يروي التقليد التاريخيّ لتلك المرحلة أنّه حيثما مرّت الأيقونة المقدّسة، كان الوباء ينحسر حتّى زال الطاعون كلّيًا. إنتهى من هموم الوباء، فسارع إلى الإتّصال باللّومبارديّين الذين كانوا يحاصرون روما، ليفاوضهم على وقف الأعمال العدائيّة، حتّى وصل معهم إلى معاهدة سلام شامل. لا بل نجح أيضًا في تبشيرهم بالإنجيل وهدايتهم إلى الإيمان.

إرتاح بال القدّيس من الهمّ الخارجيّ، فاستدار نحو الداخل. كانت الكنيسة، بشعبها

ومؤسّساتها، في أسوأ حال بسبب ما عانته روما من حصار البرابرة وظلمهم، وتفشّي الهرطقات والإنقسامات وإساءات الأمراء المسيحيّين والمجاعة. هذا إضافةً إلى تردّي الإدارة الكنسيّة وسوء إدارة مواردها، والتراجع النوعيّ الخَطِر في مستوى الأساقفة والرعاة، وفي اللّيتورجيا والرعاية والتعليم. إزاء هذا الوضع، أطلق القدّيس ورشةً شاملة. إستعمل خبراته الإداريّة السابقة ليعيد هيكلة الإدارة الكنسيّة وتنظيمها، وإعادة تنظيم إدارة موارد الكنيسة وبرمجتها وحسن توظيفها. أعاد، بصرامة، ضبط وإحياء الخِدَم اللّيتورجيّة، وشجّع على إكرام رفات القدّيسين وأعاد ترتيب الترتيل الكَنَسيّ. وضع للأساقفة والكهنة الموجودين قوانين صارمة على المستوى الرعائيّ، وقواعد شديدة جديدة لاختيار الوافدين الجُدُد إلى المراتب الكهنوتيّة. كذلك، عقد عددًا من المجامع المحلّيّة التي اهتمّت بمحاربة الهرطقات، والإصلاحات القانونيّة والأخلاقيّة، والعلاقة بين الكنيسة والسلطات المدنيّة، والتنظيم الهيكليّ في الكنيسة، وغيرها من الإهتمامات الحيويّة للكنيسة وشعبها. نجح القدّيس غريغوريوس بسرعة، بفضل عيشه ما كان يعلمه في أن يصبح قدوة للكلّ بسبب ديناميكيّته وجدّيّته في العمل، وبسبب تواضعه الكبير. نذكر في هذا المجال أنّه كان يدعو الكهنة إخوةً ويوقّع كلّ رسائله بعبارة «خادم خدّام الله».

كانت البشارة بإنجيل الخلاص دومًا، الهاجس الأوّل للقدّيس. كان يطوف على الكنائس واعظًا، وحيث لا يتسنّى له الوصول شخصيًّا، كان يوفد كهنةً يتلون رسائله على المؤمنين. كانت الشعوب البربريّة أيضًا ضمن نطاق اهتمامه حيثما استطاع. أرسل قدّيسنا بعثةً من أربعين راهبًا برئاسة «أغسطينوس المصلّي» (الذي صار فيما بعد القدّيس أغسطينوس رئيس أساقفة كانتربري، عيده في ٢٦ أيّار) إلى إنكلترا لتبشير الشعوب الأنغلوساكسونيّة. إضافةً إلى مواعظه ومراسلاته الكثيرة، للقدّيس كتاب قيّم جدًّا من أربعة أجزاء، صاغه بشكل حوارات بينه وبين شمّاسه بطرس. عنوان الكتاب «محاورات حول حياة وعجائب الآباء القدّيسين في إيطاليا، وحول خلود الروح» أو بشكل مختَصر «الحوارات» (لهذا سُمّي بالمُحاور). له أيضًا كتاب «عِبَر أيّوب» وهو مجموعة تعليقات حول سفر أيّوب وحول الأسلوب الإستعاريّ في أسفار الكتاب المقدّس. أيضًا لديه «المواعظ حول نبوءة حزقيال»، وكتاب «القاعدة الرعائيّة» وهو بمثابة «دليل عمليّ» للكهنة والأساقفة، يتناول كلّ جوانب العمل الرعائيّ وسلوكيّاته، بدءًا من الشؤون العمليّة التفصيليّة وصولًا إلى أسمى المسائل الروحيّة. الفكرة المحوريّة في هذا الدليل هي أن يتقدّس الراعي بشعبه وأن يتقدّس شعبُه به.

أعوام خدمته الأسقفيّة الأربعة عشر أضنته ونالت من صحّته، لا سيما السنتان الأخيرتان من حياته، حيث ما عاد يشتهي إلاّ الرحيل إلى الحياة الأبديّة، حتّى رقد بالربّ في ١٢ آذار ٦٠٤ م.

العرس قد طُرِح في الظلمة الخارجية مقيَّد الرّجلين والـيدين (مت ٢٢: ١٣). لكن، حتى ولو كنت تصوم، وتسهر وتفترش الأرض، وترتّل المزامير، وتمارس الصبر، وتُكثر من فعل التوبة، وتزاول كل أشكال الخير، لا تقل: «هذا ثمر تعبي»، فهذا نفاق، ولتكن صلاتك ودموعك متواصلة. إذ تتصرف على هذا النحو، تتخلّص من هذه الخطيئة المشؤومة الشقيّة.

هذا وبعض الأهواء يتعلّق بالجسد، والبعض الآخر بالنفس. أمّا المتعلّقة بالجسد، فهي الشراهة والنجاسة والسُكر والفجور، أمّا التي تصيب النفس فهي كُره القريب والحسد والمجد الباطل والكبرياء. هذه تؤثّر على نفوسنا عندما تغيب عنها المحبّة ورباطة الجأش، فيما تتوقّف تلك بالصوم والأسهار. عندئذٍ، يتلقّى الذهن نوراً يكون خاصاً به، فيرى الله بلا عائق.

القديس يوحنا الدمشقي